تعقيب :

الأدب وطلقات المدافع

للاستاذ علي متولي صلاح

ربما كان من أحب التهم إلى نفس الأديب تهمة «شهوة الكلام» الذي تفضل الصديق الكريم الأستاذ محمد عبد الغني حسن فرماني بها ! فإن امتلاء النفس بشهوة الكلام وجيشان المعاني في صدر الإنسان واحتدام رغبته في أن يكتب ويعبر . . . هي الدلالة الصادقة على أنه الأديب حقا ، فما بالك إذا كان ذلك منه للرغبة الخالصة في الدفاع عن الكتابة والأدب ؟ وما بالك إذا كانت شهوته هذه لم تواته في المواسم والأعياد وحفلات الوداع والاستقبال وما إلى ذلك ! وإنما واتته لدفع تهمة خطيرة عن الأدب وقيمته وأثره في حياتنا الراهنة ؟ وعلم الله ما أردت تجريح الصديق الكريم ولا الزراية به ، فله عندي حرمة الصديق القديم . ولكن هالني أن يكيل الأستاذ التهم للأدب كأنه له العدو المبين ! هالني أن يرى الأدب عملا « غير جدي» كما يقول، وهالني أن يحمد الأستاذ في أمته « الأفعال لا الأقوال» كما يقول أيضا ، وهالني أن يكون رأيه في الأقوال هكذا :

هذه الأقوال لا تحمي شهيدا ... من ضحايا الحق أو تشفي أواما
أطلقوا للمدفع . . لا حنجرة ... وارجموا للسيف في الحق احتكاما

وهالني أن ينادي — وهو الكاتب — في الناس بهذه الأقوال :

لا تردوا عنكموا غدر الأعادي ... بالعبارات نثارا ونظاما
الكلام اليوم لا يحمي حقوقا ... والبيان اليوم لا يرعى ذماما

وكانت الطامة الكبرى عندي أن يقول « . . فنحن اليوم إلى سلاح صوال ، أحوج منا إلى لسان قوال » !

هالني ذلك وخشيت أن يتأثر به بعض ذوي العقول الساذجة من الناس ، فلكتبت « شهوة الكلام » لأصحح هذا الوهم ولأدفع هذا الظن ، ولأبين للناس أن الأدب هو الذي يطلق المدافع ويسوق الجيوش ويحرك المحافل ، وأن الأدب هو الذي يستنهض الهمم ويشحذ العزائم ، وأن الأدب هو الذي يحمي الحقوق ويرعى الذمام ويرد غدر الأعادي . . أردت هذا فانبرى الصديق الأستاذ محمد عبد الغني حسن يعقب على كلامي بسلسلة متصلة من التهكم اللطيف لا تمس هذا الموضوع من قريب أو من بعيد !

ولكني — برغم هذا — حمدت للأستاذ الصديق رجوعه إلى الحق واعترافه بأنه « لا ينكر خطر « الكلمة » وفعلها في النفوس وأثرها في العواطف » ولكني رأيت الأستاذ يستشهد على خطر هذه «الكلمة» فيقول « أليست الكلمة هي من روح الله التي تجلت للجبل أمام موسى الكليم فجعلته دكا وخر موسى صعقا ؟ أليست الكلمة هي التي أوحت إلى النحل أن تسلك سبل ربها ذللا فتأكل من كل الثمرات ثم تلفظها شهدا شهيا فيه شفاء للناس ؟.» فلم أستطع — والحق يقال — أن أتبين علاقة هذين الأمرين بما نحن بصدده من بيان خطر الأدب والكتابة وأثرهما في الحياة ! أما الأولى فهي أن موسى عليه السلام طلب أن يرى الله وقال (رب أرني أنظر إليك. قال لن تراني، ولكن أنظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني. فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا) فلا أدب هنا ولا أدباء ولكن الله تعالى أراد أن يعلم موسى أنه طلب أمرا عظيما حين طلب رؤيته فدك الجبل به وعن طلب الرؤية فهم منه وخر موسى صعقا (فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين) . وأما الثانية فهي هداية من الله للنحل وإلهام لها بقوله تعالى : (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون، ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ، إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) فلا أدب هنا ولا أدباء أيضا ، ولكنه وحي وإلهام من الله وآية على قدرته ، فما إقحام هذين الأمرين في موضوع تأثير الأدب في الحياة ومدى فعله فيها ؟

واستشهد الأستاذ على تفاهة قدر القلم بالبيت الشهير الذي يحفظه التلاميذ جميعا وهو :

السيف أصدق أنباء من الكتب ... في حده الحدين الجد واللعب

ولا أدري كيف غاب عن الأستاذ الصديق أن أبا تمام لم يكن